النشاط العمراني في حلب زمن الظاهر غياث الدين غازي

٥٨٢-٦١٣هـ/١١٨٦-١٢١٦م

د / فرج بن محمد بن عبدالله السبيعي

مقدمـــــة:

نالت حلب حظاً وافراً في النشاط العمراني في العصر الأيوبي وخاصة إبان عهد الظاهر غياث الدين غازي فقد ازدهرت ازدهاراً شمل جميع مناحي الحياة الاقتصادية والعمرانية والتعليمية لكونه امضي ما يقارب واحداً وثلاثين عاماً في إمارتها بعد أن وحد سلطاته في حلب انصرف كلياً إلى المنشآت المدنية والعسكرية على حد سواء فأغدق الأموال الجزيلة في تشييد دور العبادة والمرافق التعليمية والدور السكنية وتنظيم قنوات الري، وكذلك شمل اهتمامه للمنشآت العسكرية فقد قام بإصلاح وترميم قلعة حلب وبناء سوراً قوياً محاط بها وتشييد القلاع والحصون وذلك لأهميتها العسكرية.

ولم تقف جهوده وإصلاحاته العمرانية على التشييد والبناء فقط وإنما قام بترميم وإصلاح بعض المرافق العامة، وأضاف إضافات عديدة على الأسوار والقلاع والحصون المجاورة لمدينة حلب.

الظاهر غياث الدين[1]

هو الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، مولده بمصر في سنة ثمان وستين وخمس مئة للهجرة. كان مليح الشكل في رجولته، له عقل وغور ودهاء وفكر صائب، وكان كريماً معطاء يتحف الملوك بالهدايا السنية ، ويكرم الرسل والشعراء والقضاة، وكان عمه العادل يرعى له لمكان بنته، فماتت فزوجها بأختها والدة ابنه العزيز.

اهتم بأمر دولته في حلب ووطد سلطانه وقرب العلماء وأحسن إلى الرعية وشهد معظم غزوات والده وكان يزور الصالحين، ويتفقدهم، وله ذكاء مفرط، مات مريضاً سنة ثلاث عشرة وستمئة للهجرة عن خمس وأربعين سنة.

أوصى في موته بالملك لولده العزيز من بنت عمه العادل وأراد أن يراعيها إخوتها. مكث في إمارة حلب ما يقارب واحد وثلاثون عاماً.

المنشآت المدنية

لما تولى الظاهر غياث الدين غازي أمر حلب أولى المنشآت العمرانية عناية جيدة، حيث قام بتنفيذ أعمال عمرانية كثيرة واصلاحات واسعة جداً، فأنفق عليها الأموال الطائلة وأوقف عليها الأوقاف وجاء اهتمامه واضحاً بإنشاء المساجد والمدارس وشبكة المياة فضلاً عن ترميم وإصلاح

---

(1) ابن الأثير، علي بن الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق؛ مكتب التراث، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٦ص٥٤٤-٥٦٣؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، تحقيق؛ بشار عواد معروف، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢١، ص٢٩٦-٢٩٨.

بعض المرافق الخدمية التي تم إنشائها في عهود سابقة لعهده ومن هذه المنشآت:

– المساجد: تذكر بعض المصادر التاريخية ان الظاهر غياث الدين غازي قام بتشييد مسجد عند الباب الصغير في حلب[٢] وآخر داخل حلب[٣] كما أنشأ المسجد الكبير والذي يقع بالقرب من قلعة حلب[٤]، ويتألف هذا المسجد من قبلية وفسحة داخلية سماوية في وسطها بحرة ماء، ويحيط بها رواق داخله غرف ذات نوافذ صغيرة[٥]، وقد كتب على بابه[٦] (أمر بعمله مولانا السلطان الملك العالم العادل المجاهد المؤيد المظفر المنصور غياث الدين والدين أبو المظفر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين سنة عشر وستمائة) وقد استعمل في بنائه شتى أنواع القطع الحجرية وجهزه بمئذنة عالية يمكن استخدامها كمركز للمراقبة على مدى بعيد[٧]، ونلاحظ ان هذه المنارة العالية لها وظيفة دينية وأخرى عسكرية.

ولم يكتف بالبناء والتعمير وإنما بترميم وإصلاح بعض المرافق الهامة فقام بترميم خانقاة[٨] قريبة من الجامع الكبير في حلب[٩].

– المدارس:

– أولى الظاهر غياث الدين غازي المرافق التعليمية عناية فائقة، وتوج أعماله العمرانية في هذا الجانب ببناء عدد من المدارس في حلب حيث بناء المدرسة الظاهرية سنة ٦١٠هـ/١٢١٧م[١٠] ومخطط هذه المدرسة مؤلف من الطابق الأرضي والطابق الأول والمدخل والصحن والايوان والرواق والقاعة وهي مبنية

(٢) ابن العديم، عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٢٤٣؛ ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم (ت ٩١٧هـ / ١٤٥٩م) الزبدة والضرب في تاريخ حلب، تحقيق: محمد التويخي، ط١، الكويت، مركز المخطوطات والتراث، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨، ص ١١٣

(٣) ابن الشحنه، أبي الفضل محمد (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٠٤؛ الغزي، كامل البالي (ت ١٠٩٤هـ/١٦٦٥م) ، نهر الذهب في تاريخ حلب، علق عليه: شوقي شعث، ط٢،: حلب، دار القلم العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٣ ص٣٣.

(٤) الغزي، كامل البالي، نهر الذهب، ج٣ ص٣٣.

(٥) شعث، شوقي، حلب تاريخها ومعالمها التاريخية، ط٢، حلب، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٤م، ص١٠١.

(٦) الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٣٣؛ الطباخ الحلبي محمد راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ط٢، حلب، دار الفلم العربي، ج٢، ص٢٢٥.

(٧) الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٣٤.

(٨) الخوانق: مفردها خانقاه؛ وهي كلمة فارسية معناها في الاصل المائدة، وقيل أصلها خونقاة: أي المكان الذي يأكل فيه الملك، وجعلت تخلي الصوفية العبادة لله تعالى: دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية عصر المماليك، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٤١٠هـ/١١٩٠م، ص٧٤.

(٩) الطباخ الحلبي، إعلام النبلاء، ج٢، ص١٨٦.

(١٠) ابن واصل، محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشياك، القاهرة، دار القلم، ١٩٦٠م، ج٣، ص٩

بالحجارة المحكمة واستخدمت الزخرفة[١١] وأنشأ الى جانب هذه المدرسة تربة ليدفن فيها من يموت من الملوك والامراء[١٢].

الجدير بالذكر أن هذه المدرسة هي أول مدرسة يتحول فيها دهليز المدخل إلى بوابة بشكل ايوان، وهي أول مدرسة تسقف فيها القبلية بثلاثة قباب، كما أنها أول مدرسة بثلاث أواوين ورواقين، وفيها ظهرت أول عقود وحنايا ركنية ليس في مدارس حلب وحسب إنما في حلب[١٣]، وتوفرت في هذه المدرسة الانارة والتهوية فأنار الممر الذي تنفتح عليه الغرف من منافذ مغلقة، أما الغرف فتأخذ النور من منافذ على شكل مرامي السهام المستعملة في القلاع، وهذا يدل على أن هذه المدرسة تميزت بشكل عمراني خاص.

كما شرع الظاهر غياث الدين غازي في بناء المدرسة السلطانية[١٤] وتعرف هذه المدرسة بالظاهرية[١٥] لكن منيته سبقته قبل اتمام هذه المدرسة[١٦] وهي مبنية بالحجارة المحكمة وفيها جودة التركيب وحسن الرخام[١٧]ووصف هذه المدرسة تتألف من صحن في وسطه حوض مستطيل الشكل وتحيط بالصحن المباني التي تختلف في أسلوب بنائها وضخامتها وفيها مساكن للطلاب.

ومن الأعمال الانشائية التي قام بها الظاهر غياث الدين غازي المدرسة الهروية والتي تقع في حي الفردوس[١٨] شيدت سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، كما أنشأ في عهده عدة مدارس منها مدرسة الفردوس أنشأتها ضيفه خاتون[١٩] بنت العادل سيف الدين[٢٠] وبناء هذه المدرسة متقن وواسع الأرجاء لها مدخلان من الشرق والآخر من

---

(١١) الجاسر، لمياء. مدارس حلب الأثرية، ط١، حلب، دار الرضوان، ص ١٨٢-١٨٣.

(١٢) بن شداد، عزالدين محمد ابن علي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق؛ دومينيك سوروبل، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٥٣م، ج١ قسم١، ص٥٩

(١٣) الجاسر، لمياء، مدارس حلب، ص ١٨٤.

(١٤) الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) الوافي بالوفيات اعتناء ديدر بنغ، ط٢، المانيا فرانز شتايز، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ن، ج٤، ١٦٤

(١٥) الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء، ج٢، ص٢٣٣.

(١٦) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١ قسم١، ص١١٤.

(١٧) أطلس، محمد أسعد، الآثار الاسلامية التاريخية في حلب، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ص٧٥.

(١٨) كرد، محمد كرد، خطط الشام، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، ج٦، ص١٠٦.

(١٩) ضيفة خاتون: هي ابنة العادل سيف الدين أبي بكر محمد أخي صلاح الدين، وزوج الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين، ووالدة العزيز بن الظاهر غازي، ولدة سنة ٥٨٢هـ أو ٥٨١هـ وماتت سنة ٦٤٠هـ وقد ملكت حلب بعد وفاة ابنها العزيز وقامت بالملك أحسن قيام مدة ست سنوات. وتوفيت في السنة المذكورة سابقاً. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ/١٩٩٦م، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص١٠؛ كرد محمد، خطط الشام، ج٦، ص١٠٦

الغرب وفيها الديوان وممر ذو سقف نصف اسطواني يؤدي الى صحن واسع مربع الشكل في وسطه حوض ماء مثمن الشكل ويحيط بالصحن رواقان أحدهما في الطرف الشرقي والثاني من الغربي، ورواق في الجنوب أمام القبلية أما في الشمال صحن[٢١]. كذلك أسهم بعض العلماء والأثرياء في بناء المدارس في حلب ومنهم سيف الدين علي بن علم الدين بن جندر الذي أنشاء المدرسة السيفية سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م) ونسبت هذه المدرسة باسمه[٢٢]، كما شيد بهاء الدين بن شداد المدرسة الصاحبية سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م)[٢٣].

- **الدور:**

امتازت مساكن الحلبيين القدماء بأنها كانت واسعة، وهي تتشابه في مخطط بنائها، المؤلف من الدهليز، الذي ينفتح على فناء داخلي يسمى الصحن، وهو من أهم مميزات عمارة المساكن العربية الاسلامية التي تجعل هذه العمارة أكثر تكليفاً مع ظروف المناخ، حيث بركة الماء الكبيرة تتوسط الصحن، ثم الديوان، وهو عبارة عن قاعة بدون جدار منفتحة على الصحن يركن إليها أهل البيت وضيوفهم[٢٤].

يذكر أن الظاهر غياث الدين أنشأ حي كامل أطلق عليه الظاهرية قد أحضر مماليك اشتراهم واختط لهم حياً خاصاً فقد أمر الظاهر غياث الدين بإحضار المهندسين والصناع والعمال وأهل الخبرة في شؤون البناء ومختلف الصناعات من كافة الامصار[٢٥].

ولم يقتصر نشاطه العمراني على إنشاء هذا الحي وإنما بناء دارٍ تسمى دار العدل لجولسه العام فيها ، وكان ذلك في سنة ٥٨٥هـ/١١٩٤م[٢٦] وشيد داراً تعرف بدار العز[٢٧] وكان في مكانها دار للسلطان نور الدين محمود بن زنكي تسمى دار الذهب[٢٨]، وكانت هذه آية في الجمال من حيث العمارة ومافيها من الرخام والبركة والغوارة[٢٩].

ويقول ابن الشحنة[٣٠] في هذا المسكن (دار العز)(فاقتصرت منها على مايعلم منه حسن هذه الدار).

وفي سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م احترقت دار العز واحترق ما في داخلها من فرش وذهب والآلات

(٢١) أطلس، محمد، الآثار الاسلامية التاريخية، ص٧٨.
(٢٢) الصفدي، الفوافي بالوفيات، ج٣، ص١٧٣.
(٢٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج٢، ص١٣٤.
(٢٤) الحمص، فايز، حلب القديمة، دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمناطق، ١٩٨٣م، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢٥)ابن الشحنة، الدرر المنتخبة، ص ٣٤ ؛ الحلبي، سبط بن العجمي، كنوز الذهب، ج١، ٥٨٢.
(٢٦) الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج٢، ص٣٧.
(٢٧) ابن العديم، زبدة حلب، ص ١٧؛ ابن الحنبلي الحلبي، الزبدة والضرب، ص١١٩.
(٢٨) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١ قسم١، ص٢٥، ابن الشحنة، الدرر المنتخبة، ص ٥٢.
(٢٩) ابن العديم بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢، ص٢٤٧.
(٣٠) ابن الشحنة، الدرر المنتخبة، ص ٥٣.

والاواني وغيرها من الأشياء الثمينة[٣١] فأمر الظاهر غياث الدين بتجديد بنائها مرة أخرى واستبدل الاسم الأول دار العز إلى اسم آخر وهو دار الشخوصي لكثرة ما كان من زخارفها الجميلة[٣٢] ومساحتها أربعون ذراعاً في مثلها[٣٣]. وشيد حول هذا الدار أي دار العز عدداً من البيوت وبساتين كبيرة فيها أنواع الزهور وأصناف الأشجار[٣٤].

- **الأسواق:**

عرفت مدينة حلب منذ عصور قديمة بنشاطها التجاري، بسبب موقعها الاستراتيجي المهم الذي يسيطر على طرق المواصلات فهي ملتقى التجار القادمين من العراق أو دمشق أو بلاد الروم، وكان لهذا الموقع المهم أثره في إنشاء الأسواق فيها.

وكان من أهم الأعمال الظاهر غياث الدين في مجال الإنشاءات العمرانية بناء الأسواق فكانت على درجة عالية من الهندسة المعمارية فكانت واسعة ومنظمة ومرتبة ومسقوفة بالخشب بحيث تكون في ظل دائماً[٣٥]. يذكر أن الظاهر غياث الدين شيد سوقاً في حلب تباع فيها الغلات والمحاصيل الزراعية والحطب[٣٦].

-الحمامات:

لقد كانت الحمامات من المنشآت العمرانية البارزة في حلب وتميزت حماماتها بالمساحة الكبيرة، وللحمامات أهمية خاصة لدى المسلمين لأنها ترتبط لديهم بتعاليم الدين الإسلامي الذي كان من أبرز تعاليمه الحث على النظافة.

وتعد الحمامات من المؤسسات الاجتماعية الهامة التي تكون منها النسيج العمراني في حلب ونظراً لشدة الحاجة إليها في أغراض النظافة والتطهير من ناحية، وعدم احتواء الغالبية العظمى من البيوت عليها من الناحية أخرى[٣٧].

وقد شهدت الفترة الأيوبية القدر الأكبر من إنشاء الحمامات العامة لاسيما في عهد الظاهر غياث الدين الذي أجرى المياه إلى مدينة حلب الأمر الذي أدى إلى انتشار المياه بصفة عامة

---

(٣١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام حوادث (٦١١-٦٢٠هـ) تحقيق: عمر عبدالسلام، ط١، بيروت دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٥٩ .

(٣٢) ابن الجنبلي، الحلبي، الزبدة والضرب في تاريخ حلب، ص١١٩؛ الغزي نهر الذهب، ج٣، ص٥٦.

(٣٣) الحلبي، سبط بن العجمي، كنوز الذهب، ج١، ص٥٨٣.

(٣٤) ابن العديم، زبدة حلب من تاريخ حلب، ص١٨؛ الطباخ، محمد راغب، اعلام النبلاء، ج٢، ص٢٣٣.

(٣٥) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفه الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، تحقيق: عبدالهادي التنازي، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص١٧٦.

(٣٦) الحلبي، سبط بن العجمي، كمنوز الذهب، ج١، ص٥٨٦؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخبة، ص ٤٥.

(٣٧) معوض، منصور محمد، الحمامات العامة بمدينة حلب، ط١، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٣م، ص٢٣.

ووصل عدد الحمامات في عهده إلى حوالي مئة وأربع وستون حماماً[٣٨].

ويذكر الظاهر غياث الدين شيد عدداً من الحمامات حول البساتين التي أنشأها في حلب سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م[٣٩] وتشير بعض المصادر أن عدد الحمامات حول البساتين خمسة وعشرون حماماً[٤٠] ، وهذا العدد من الحمامات دليل واضح على النشاط العمراني في عهد الظاهر غياث الدين.

- **المنشآت المائية:**

قناة حلب، تعد قناة حلب من أهم المصادر الرئيسية التي كانت تمد مدينة حلب قديماً بالمياه وتعرف هذه القناة أيضاً باسم قناة جيلان [٤١]لأنها تنبع منها، فقد أهتم بها حكام وولاة حلب على مر العصور الإسلامية على اعتبار أنها الشريان الرئيسي الذي يغذي مدينة حلب[٤٢].

وفي عهد الظاهر غياث الدين غازي أهتم بأمر القناة اهتماماً كبيراً وبذل المال في سبيل اصلاح هذه القناة ففي سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م أمر بإحضار أصحاب المهن من صناع وحرفيين ونجارين وعمال من مدينة دمشق[٤٣]، ويبدو لي أن الاستعانة بالعمال من دمشق أكثر خبرة ومعرفة وحينما وصل العمال إلى حلب سار الظاهر غياث الدين بنفسه معهم إلى أصل القناة ومنبع المياه وأمر الظاهر غياث الدين بحساب المسافة من أصل القناة حتى مدينة حلب فكانت خمسة وثلاثين ألف ذراع[٤٤]، فقسم هذه المسافة إلى أجزاء وجعل كل جزء يشرف عليه رئيساً معه حرفيين من صناع وغيره ونقل إليهم الأحجار والزيت والآجر بعد أن نصبوا خيامهم على حافة القناة[٤٥]، وتم إصلاح جميع مسالك المياه وزين مواضع الماء حتى وصلت المياه إلى حلب وغطيت ببلاط من الحجر لتخفيض الكمية الضائعة وتنقيها وشرب الماء منها[٤٦]، كما شيد مصنعاً كبير للماء الحلو داخل قلعة لكي يستفيد منه الناس[٤٧].

---

(٣٨) نصري، عبدالهادي، دراسة عن الحمامات، حلب، مجلة جمعية العاديات، ١٩٩٩م، ص ٢٣.

(٣٩) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١ قسم١، ص٣٤، ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ٥٣

(٤٠) الطباخ، محمد راغب، اعلام النبلاء، ج٢، ص٢٣٤.

(٤١) جيلان: قرية تقع شمال حلب على بعد ثمانية أميال منها، الحموي، ياقوت بن عبدالله (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ج٢، ص ٣٨١.

(٤٢) معوض، منصور، الحمامات العامة، ص٦٠.

(٤٣)ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢، ص٢٤٤؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١ قسم١، ص١٤٤.

(٤٤) ذراع، يبلغ طول الذراع ٥٤،٠٤ سم بالضبط، فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، ط٢، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص٨٣.

(٤٥)ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص١٤٤؛ الغزي، نهر الذهب، ج٣، ص٦٨.

(٤٦) ابن العديم، زبدة حلب من تاريخ حلب، ص١٧ ؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١ قسم١، ص١٤٥.

(٤٧)ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص٣٢.

-الآبار:

من أهم الآبار التي شيدها الظاهر غياث الدين غازي بئر تعرف (بالساطورة)، يأتيه الماء من قناة حلب شمالي القلعة التي تمر تحت الأرض إلى الخندق، حيث تصب المياه في قناة من قنوات القلعة تنتهي بهذه الساطورة وهي عبارة عن خزانات عظيمة للمياه تحت الأرض[٤٨]،

يبلغ عرض بعضها ١٥م وارتفاعها ٧م بطول ٣٧م وعمق المياه عن سطح الأرض ٦٠ متراً ويلتف حول البئر سلم نحتت كلها في الصخر، وصنعت لتقاوم عوامل التعرية نظراً لتباعد أطراف البئر، وكان الماء يستخرج من هذا البئر بواسطة دولاب مستدير تديره دابة[٤٩].

-القساطل[٥٠]:

قام الظاهر غياث الدين بعد اصلاح القناه المائية وترميمها واتصلت المياه بحلب أمر ببناء القساطل فكان أول قسطل بني في عهد الظاهر غياث الدين على باب الأربعين طوله من الشرق إلى الغرب عشرون ذراعاً ثم ساق هذه القناة إلى حوضاً كبيراً تم بناءه أثناء تصليح القناة[٥١]، وشملت القساطيل جميع أحياء حلب والمرافق العامة من مدارس ومساجد وأسواق.

وهكذا عم نفع هذه المنشآت المائية جميع سكان حلب وحتى الحواضر[٥٢] مثل: السليماني والكلاسة ومابينهما وماكان عامراً في تلك النواحي فقد أشاد بعض الشعراء بالأعمال الجليلة التي أمر بها الظاهر غياث الدين فقال أبوالمظفر[٥٣] بن محمد الواسطي.

روى ثرى حلب فصارت روضة
أنفا وكانت تشكو الظما
أحيا موات ترباتها فكأنه
عيسى بإذن الله أحيا الأعظما
لا غرو ان جرى القناة جداولاً
فلطا لما بقناتة أجرى الرما[٥٤]

---

(٤٨) العطار، محمد نادر، قلعة حلب، الرياض، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٦٩.

(٤٩) العطار، محمد، قلعة حلب، ص٦٩.

(٥٠) القسطل؛ هو اسطوانة مصنوعة من التراب الأحمر الذي لم يسبق استخدامه يعجن بماء كاف ويخمر ثم يحرك ويعمل منه أنواع القساطل بواسطة قالب لها مخصوص مجوف (كيال، منير، الحمامات الدمشقية، دمشق وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٦م، ص٢٧٦).

(٥١) الحلبي، سبط بن العجمي، كنوز الذهب، ج١، ص٥٨٣؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص١٤٠-١٤٥.

(٥٢) حاضر حلب: هو الحاضر الواقع بظاهر حلب ويعرف قديماً بحاضر السليمانية وهو ربضها (ابن العديم، زبدة حلب من تاريخ حلب)، ص١٥.

(٥٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٥٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، قسم ١، ص٣٣ ؛ ابن الحنبلي، الحلبي، الزبدة والضرب في تاريخ حلب، ص١١٥.

- **المنشآت العسكرية**

قلعة حلب:

كانت قلعة حلب محط اهتمام سلاطين بنو أيوب وبلغت ذروتها في عهد الظاهر غياث الدين غازي فقد نالت حظوظاً كبيرة في عهده سواء المنشآة المدنية أو العسكرية.

فتشير بعض المصادر التاريخية[٥٥] أن الظاهر غياث الدين أمر بتحصين القلعة ومنها حفر الخندق حولها وهذا الخندق عبارة عن حاجز مائي لكي يحفظ القلعة من أي هجوم، وكذلك قام الظاهر غياث الدين بتحرير خندق الروم، وسمي بخندق الروم؛ لأن الروم حفروه لما نزلوا على حلب أيام سيف الدولة الحمداني سنة ٣٥١هـ/٩٦١م حيث أمر برفع التراب من الخندق أثناء تحريره وإلقائه إلى شفير هذا الخندق مما يلي المدينة فارتفع ذلك المكان وسفح إلى الخندق فعمق واتسع، ومن حرص الظاهر غياث الدين على إتقان العمل كان يشرف بنفسه على العمارة وبني للقلعة سوراً قوياً محكماً يقاوم رشقات المنجنيق خارج السور القديم الذي بنى عهد السلطان نور الدين محمود الزنكي وأمر بتجديده وترميمه وتحصينه بالحجاره[٥٦].

كما بنى الظاهر غياث أماكن يجلس فيها الجند وارباب الدولة، أيضاً مساكن لهم داخل القلعة، وكانت معلقة بها آلات الحرب[٥٧].

كما بنى ممشى من شمالي القلعة إلى باب الأربعين وهو طريق تحت الأرض لاتسلك إلا في الضرورة وكأنه باب السر[٥٨]. ووصف ابن جبير[٥٩] سور قلعة حلب بقوله (وسورها الأعلى كله أبراج منتظمة فيها العلالي المنيعة، والقباب المشرفة، وقد تفتحت كلها طيقانا، وكل برج منها مسكون، وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة.

-الأبراج:

تضم قلعة حلب عدداً من الأبراج والمداخل منها ما هو برج منفرد ومنها ما هو متصل بسور القلعة وتكون هذه الأبراج بارزة إلى الأمام، والهدف من بناء الأبراج هو الدفاع عن القلعة وحمايتها من الأعداء[٦٠]. وحينما تولى الظاهر غياث الدين أمر حلب شيد عدداً من الأبراج جعلها على السور الأول وكتب كل برج اسم كل أمير أو كله ببناء وعمارة هذا البرج، وهي أبراج

---

(٥٥) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١ قسم١، ص١١٤؛ الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص١١.

(٥٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ص٤٥١، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، القسم ١، ص١١٥، ابن الشحنه، الدرر المنتخب، ص٣٧.

(٥٧)الحلبي، سبط بن العجمي، كنوز الذهب، ج١، ص٥٨٦.

(٥٨) الغزي، نهر الذهب، ج٢،ص٢٥.

(٥٩) ابن جبير، محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) رحلة بن جبير، بيروت، دار صادر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص٢٢٦.

(٦٠) شعث، شوقي، حلب تاريخها ومعالمها التاريخية، ص١٠٥.

محكمة البناء[٦١]. كما بنى أبراجاً جديدة من باب الجنات إلى باب النصر[٦٢].

- الأبواب:

وهي على نوعين، إما أن تكون من النوع الذي ينفتح أفقياً بشكل دائري مثل أبواب المنازل والقصور وعادة تكون حديدية من درفتين وتزين بالنقوش والمسامير وإما أن تكون الأبواب من نوع القضبان الحديدية المشبكة[٦٣]، قام الظاهر غياث الدين بإنشاء بعض الأبواب للقلعة والبعض عمل على تجديدها وإصلاحها والتي أنشئت في عصور سابقة لعصره، فأسس باباً بالقرب من برج الثعابين وأطلق عليه باب الفراديس، وكان يباشر الإشراف على العمارة بنفسه[٦٤].

كما أنشأ باب النصر وكان يعرف قديماً بباب اليهود لأن محال اليهود من داخله ومقابرهم من خارجه، وكان عليه بابان يخرج منهما إلى باشورة[٦٥] وقام الظاهر غياث الدين ببعض التعديلات منها استحداث أربعة أبواب كل باب بدركاه[٦٦] بدلاً من البابين، وبناء على الأبواب الأربعة أبراج وأزال ما في خارجه من الرمال والتلال وأطلق عليه باب النصر[٦٧].

وعمل باب دار العدل كان الظاهر غياث الدين لا يخرج لا منه وسمي باب المقام لكنه توفى قبل إتمام عمله[٦٨].

وشيد باب القناة ويعرف بباب الحديد وسمي بهذا الاسم نسبة للقناة التي حفرها الظاهر غياث الدين وتعبر منه[٦٩]. ولم يقتصر عمله على إنشاء الأبواب وإنما قام بترميم وإصلاح بعض أبواب القلعة القديمة، مثل باب العراق وباب الصغير وباب الأربعين، فقد قام الظاهر غياث الدين ببسط ما بينهما من تلال والتراب الذي أخرجه من خندق الروم[٧٠].

ولم تقتصر جهود الظاهر غياث الدين غازي على مدينة حلب وأطرافها إنما اهتم بالقلاع والحصون المجاورة لحلب، فقد نال حصن

---

(٦١) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، قسم١، ج١، ص٣١.

(٦٢)ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، قسم١، ج١، ص٣٢؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص٥١.

(٦٣) العطار، محمد، قلعة حلب، ص٣٧.

(٦٤)ابن العديم، زبدة حلب في تاريخ حلب ص٢٤٣؛ الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٢٧.

(٦٥) الباشورة: طريق ضيق منعطف متعرج متصل بالباب من خارجه وله أبواب ضخمة متينة. ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص٤٥، الشهابي، قتبة، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٦م، ص٤٨.

(٦٦)الدركاه: مهناها البهو الذي يلي الباب أو ساحة أمام القصر، الريحاوي، عبدالقادر، قلعة دمشق، دمشق، مطبوعات هيئة التدريب، ١٩٧٩م، ص٢٧، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، قسم١، ج١، ص٣٢.

(٦٧) ابن العديم، زبدة حلب، ص٤٥١؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، قسم١، ج١، ص٣١؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص٥٢.

(٦٨) ابن الحنبلي، الحلبي، الزبدة والضرب في تاريخ حلب، ص١١٨.

(٦٩) الحلبي، سبط بن العجمي كنوز الذهب، ج١، ٥٨٦.

(٧٠) الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠هـ) ص١٥٩.

حـارِم[٧١] اهتماماً كبيراً وعناية جيدة حيث جدد بناء حصن حارم وغير شكله وبنى أبراجه مربعة وشيده وجعله مدوراً بعضه على جبل وبعضه على رصيف مبني بالحجارة، وصارت من أحسن القلاع[٧٢] ومن القلاع التي أولها عناية الظاهر غياث الدين قلعة عزاز[٧٣] شيدها من الحجر وحصنها حيث عزز السور بأبراج بارزة[٧٤].

الخاتمة

انتهت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها مايلي:

أظهرت الدراسة أن الظاهر غياث الدين غازي أولى النشاط العمراني عناية فائقة في حلب أكثر من غيره من بني أيوب.

كشفت هذه الدراسة أن النشاط العمراني الذي قام به الظاهر غياث الدين غازي في حلب لم يقتصر على مرافق معينة وإنما شمل بناء دور العبادة والمدارس والمنازل.

ويتضح من هذه الدراسة أن الظاهر غياث الدين غازي أهتم بقناة المياه في حلب وإصلاح مسالك المياه حتى وصل الماء إلى بيوت حلب.

وبينت الدراسة أن الظاهر غياث الدين غازي أعاد ترميم وإصلاح قلعة حلب وحصنها وأنشأ حياً يعرف بالظاهرية نسبة إلى الظاهر.

أظهرت الدراسة أن الظاهر غياث الدين غازي بذل الأموال الطائلة في سبيل تعمير حلب وترميم بعض المرافق العامة.

فهرس المصادر والمراجع

ابن الأثير، علي الكرم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ، تحقيق: مكتب التراث، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

٢- تحفة المنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، تحقيق: عبدالهادي التازي، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن جبير محمد بن أحمد (ت٦٢٦هـ/١٢١٧).

٣- رحلة ابن الجبير، بيروت، دار صادر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٤- معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الحلبي، سبط بن العجمي (ت٨٨٤هـ/١٤٧٦م).

٥- كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق: شوقي شعث، حلب، دار القلم العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦.

الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م).

---

(٧١) حارِم: قلعة في الشمال الشرقي من مدينة إدلب في سوريا وعلى بعد ٦٠ كيلاً منها وتسيطر على الطريق بين أنطاكيا وحلب، الساطع، أكرم، حصون وقلاع.

(٧٢) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢ ص٣٣٨.

(٧٣) عزاز: بليدة فيه قلعة ولها رستاق، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٣٢، تقع شمال غربي حلب على مسافة ٤٧ كيلاً، طيبة الهواء عذبة الماء، الساطع، أكرم ، حصون وقلاع.

(٧٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ج٢ ص١٩٣.

٦- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ/١٩٩٦م.

الحنبلي الحلبي، محمد بن إبراهيم (ت٩٧١هـ/١٤٥٩م)

٧- الزبدة والضرب في تاريخ حلب، تحقيق: محمد التويخي، ط١، الكويت، مركز المخطوطات والتراث، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٨- سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة ٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٩- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠هـ) تحقيق: عمر تدمري، بيروت دار الكتاب العربي ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ابن الشحنة أبي الفضل محمد (ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م).

١٠- الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ابن شداد، محمد بن علي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م).

١١- الاعلاق الخطيرة في ذكر، أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: دومينيك ستوديك، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسة العربية، ١٩٥٣م.

الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)

١٢- الوافي بالوفيات، اعتناء: ديدر بنغ، ط٢، المانيا فرانز شتايز، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن العديم، عمرو بن أحمد (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م).

١٣- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨م.

١٤- زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل منصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ابن واصل، محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م.

١٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشياك، القاهرة دار القلم، ١٩٦٠م.

المراجع:

١٦- أطلس، محمد أسعد، الآثار الإسلامية التاريخية في حلب، دمشق، مضيعة الترقي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

١٧- الجاسر، لمياء، مدراس حلب الأثرية، ط١، حلب، دار الرضوان .

١٨- الحمصي، فايز، حلب القديمة، دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، ١٩٨٣م.

١٩- الديحاوي، عبد الهادي، قلعة دمشق، دمشق، هيئة التدريب، ١٩٧٩م.

٢٠- الساطع، أكرم، حصون وقلاع.

٢١- شعث، شوقي، حلب تاريخها ومعالمها التاريخية، ط٢، حلب منشورات جامعة حلب، ١٩٨٤م.

٢٢- الشهابي، قتيبة، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، دمشق منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٦م.

٢٣-الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ط٢، حلب دار القلم العربي.
٢٤- العطار، محمد نادر، قلعة حلب، الرياض، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٢٥- الغزي، كامل البالي، نهر الذهب في تاريخ حلب، علق عليه: شوق شعث، ط٢، حلب، دار القلم العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٢٦- قالتر، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، ط٢، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧م.
٢٧- كرد، محمد كرد، خطط الشام، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.
٢٨- معوض، منصور محمد، الحمامات العامة بمدينة حلب، ط١، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٣م.
٢٩- نصري، عبدالهادي، دراسة عن الحمامات الحلبية، حلب، محلية جمعية العاديان، ١٩٩٩م، ص٢١.

.